الفصل التاسع

أحدث الطبعات العنصرية لـ (هنتنجتون)

يجب على صناع القرار فهم وإدراك نظرية صدام الحضارات عند التدخل فى شئون الدول الأخرى».. هذه مقولة صامويل هنتنجتون منظر الصراعات.. بين الأمم والحضارات!

وفى كتابه الجديد (من نحن: تحديات الهوية القومية الأمريكية) يرى هنتنجتون: «أن أمريكا فى جوهرها كانت وما زالت وستظل دولة مسيحية». ويحذر من أن تنامى الشقاق والخلاف بين (الطبقة الوطنية العاملة) وبين (النخب غير الوطنية) سوف يؤدى إلى حدوث تصدعات خطيرة داخل الولايات المتحدة. ويطالب هنتنجتون فى أحدث طبعاته العنصرية بانطلاق (حركة المواطنة البيضاء).. محذرا من أن اختلاط الأعراق - ومن ثم الثقافات - هو سبيل التفسخ القومى.. الأمريكى!

وربما كانت مصادفة غير مقصودة أن نتناول (إبداعات) هنتنجتون (الصدامية) وهو يحتفل بعيد ميلاده السابع

والسبعين فى ذروة المواجهات والصراعات التى يشهدها العالم.. تحقيقا لنظريته.. المخططة والمبرمجة.. لتمهيد العالم لتلك الحقبة الخطيرة من تاريخه.

وقد اشتهر هنتنجتون بتحليلاته للعلاقة بين الحكومة العسكرية والمدنية.. وبأبحاثه فى مجال الانقلابات السياسية.. وبنظريته الشهيرة (صدام الحضارات).. والتى يرى فيها أن اللاعبين الأساسيين فى الحلبة السياسية خلال القرن الحادى والعشرين سوف يمثلون الحضارات وليست الدول أو الأمم. وكتابه (صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمى).. برز لأول مرة عام ١٩٩٣ فى مقال فى دورية فورين أفيرز (Foreign Affaires) الأمريكية الشهيرة، وجاء ردا على كتاب فرانسيس فوكوياما (نهاية التاريخ).. الذى عرضنا له سابقا. ثم بلور هنتنجتون نظريته تلك فى كتاب شهير صدر عام ١٩٩٦.

صراع.. وصدام

وفى كتابه الشهير.. يرى هنتنجتون أن العالم بحضاراته المتعددة.. يتجه نحو الصدام والصراع. وخلال عرضه لنظريته.. انتقد هنتنجتون السلوك الغربى.. وغير الغربى.. متهما الطرفين بالإفراط النقدى والتركيز الحضارى.. كما حذر

الغرب من احتمال فقدانه لسيطرته وتفوقه إذا فشل فى التعرف على طبيعة هذا التوتر المتنامى.

ووفقا لتلك النظرية.. يرى هنتنجتون أن الحضارات مقسمة على أساس دينى.. غالبًا. والحضارات الرئيسية فى العالم حاليا.. من وجهة نظره.. هى:

- الحضارة الغربية المسيحية.. والمتركزة أساسًا فى أوروبا وأمريكا الشمالية. وإذا دخلت أمريكا اللاتينية أو دول الاتحاد السوفيتى السابق ضمن تلك الدائرة.. أو ظلت ذات حضارات مستقلة خاصة بها.. يجب النظر إليها بالاهتمام فى المستقبل..
- العالم الإسلامى فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.
- الحضارة الصينية.
- أفريقيا السوداء.. جنوب الصحراء.
- المناطق البوذية.. شمال الهند وشمال غرب الصين.
- اليابان.

وبقراءة دقيقة لهذا التقسيم (الحضارى) نلاحظ أن هنتنجتون قسم الحضارة الغربية أو المسيحية ذاتها إلى عدة أجزاء.. على رغم انتمائها إلى وعاء حضارى أوسع وأشمل. فأخرج أمريكا اللاتينية من هذا الإطار.. وأخرج العالم الأرثوذكسى

المسيحى منه.. بل أخرج الدول المسيحية فى أفريقيا وغير أفريقيا من ذات الإطار الحضارى.. لتضييق دائرة هنتنجتون.. وتكاد تقتصر على إطار عرقى عنصرى جيوبوليتيكى!!

ويزعم العالم الأمريكى أن الفترة التى تلت الحرب العالمية الباردة شهدت نشوب صراعات على الحدود الفاصلة بين الحضارات.. وقليل من النزاعات وقع داخل الحضارات ذاتها. ومن المؤكد أن هنتنجتون يتجاهل - عمدًا - الحربين العالميتين الأولى والثانية خلال القرن العشرين.. وهما أكبر النزاعات تقريبًا على مدار التاريخ.. وكلتا الحربين وقعتا داخل الحضارة الواحدة.. وشملت أطرافًا وعنصرية واستقطابًا غير حضارى.. يقوم على أسس عرقية وعنصرية ولتحقيق مصالح استراتيجية وسياسية متناقضة. بل إن تاريخ أوروبا الطويل - وهى أصل العالم الغربى قبل انضمام العم سام - شهد الكثير من الحروب الضارية بين أطراف ودول الحضارة الغربية الواحدة.

يزعم (المنظر) المبدع أن الحروب التى حدثت بعد انهيار يوغوسلافيا وفى الشيشان وبين الهند وباكستان.. كلها تؤكد نظريته: صراع الحضارات. بل إنه يرى بحق حتمية الحرب بين مناطق حضارية كاملة بسبب تناقض نظم القيم بشكل جوهرى ويقول: «إن نمو وانتشار أفكار مثل الديمقراطية

والتجارة الحرة منذ نهاية الحرب الباردة.. جاء نتيجة تأثير الغرب المسيحى.. كما أن بقية العالم قام - حتى الآن - بدور بسيط فى عملية العولمة الجارية الآن»! وهذا ادعاء مردود عليه لسببين: أولهما: أن الغرب بحملاته الاستعمارية الممتدة عبر القرون وحتى الآن.. وبصياغته لنظم السياسة والتجارة والاقتصاد الدولى فى أطر تضمن سيطرته وهيمنته على العالم.. بهاتين الوسيلتين.. نجح الغرب فى إضعاف وتهميش دور بقية العالم.. على رغم المشاركة الفاعلة والمؤثرة لبعض أطرافه.. مثل الصين واليابان والهند.. وهم ليسوا ضمن العالم الغربى.. بكل المقاييس الحضارية الضيقة التى وضعها هنتنجتون.

السبب الثانى: يتمثل فى أن عملية العولمة التى نراها الآن مفروضة غربيًا فالغرب يريد أن يفرض نظم القيم والسياسة والتجارة والمصالح التى يراها هو دون مراعاة قيم ومبادئ وعقائد وحضارات الآخرين. وإلا أصبحت العولمة مرادفا (للتغريب).. أو (الاستغراب).

ويبدو أن المقال الأول عن صدام الحضارات الذى نشره هنتنجتون فى (فورين أفيرز) قد حظى باهتمام وردود أفعال لم يحظ بها أى مقال أو دراسة أخرى نشرتها الدورية المرموقة. ولعل أبرز الانتقادات التى وجهها الباحثون والساسة لتلك

النظرية هو أن حضارات هنتنجتون تبدو هشة وممزقة.. ولا تحظى بالحد الأدنى من الوحدة والترابط! ففيتنام ما زالت تحتفظ بجيش ضخم، ربما لحمايتها من الصين.. وهناك حضارات أخرى ذات خطوط عرقية متنوعة. وهناك دول عديدة - داخل الغرب وخارجه - لها آراء ومواقف متباينة.. بل متناقضة أحياناً. ويرى معارضو نظرية (صدام الحضارات) أنها وسيلة مقنعة لإضفاء الشرعية على العدوان الغربى الذى تقوده الولايات المتحدة ضد العالم الثالث بهدف منعه من تحقيق النمو والازدهار الاقتصادى. ومن المثير للاهتمام.. مقارنة نظرية هنتنجتون وتأثيرها على صناع القرار فى الإدارة الأمريكية عامة.. والبنتاجون بصفة خاصة.. بنظرية إيه جيه توينبى التى تقوم على أساس الدين إلى حد كبير.. وقد تعرضت نظرية توينبى لنقد مماثل.

كتاب جديد للعنصرية

وفى كتابه الجديد بعنوان (من نحن: تحديات الهوية القومية الأمريكية) يعرض الكاتب تعريفاً لتلك الهوية والتهديدات التى تواجهها من الهجرة اللاتينية التى يرى أنها يمكن أن تقسم الولايات المتحدة إلى شعبين.. وثقافتين.. ولغتين!!

وإذا كان كتاب (صدام الحضارات) قد توقع بل رسم وخطط لمعركة الولايات المتحدة مع المتشددين الإسلاميين.. فإن كتابه الجديد (من نحن؟).. يسلط الأضواء على أمريكا ذاتها.. أمريكا كما يجب أن تكون.. من وجهة نظر هنتنجتون! وعلى رغم السمة التشريحية للكتاب فإنه يتميز بلهجة هجومية عنيفة. وتستند فكرته الرئيسية على أن أمريكا فى جوهرها وقلبها كانت ويجب أن تظل دولة مسيحية.. بكل الوسائل اللازمة.. كما يجب أن تظل دولة أنجلو أمريكية.. ويجب أن تعكس وسائل الإعلام الأمريكية هذه الوضعية.. خاصة المحافظة منها (وربما يقصد فوكس نيوز اليمينية المتطرفة والمعادية للعرب والمسلمين).

وفى كتابه هذا يؤكد هنتنجتون باستفاضة أن العقيدة الأمريكية الأساسية هى (أيديولوجية متأثرة بالبروتستانتية) تمت صياغتها على النمط البريطانى. هذه العقيدة تمثل التوجه الأصلى لمؤسسى الولايات المتحدة (التى قامت على أنقاض وأشلاء الهنود الحمر!). كما أن تلك العقيدة هى المسار الأمثل والأفضل للولايات المتحدة. ويتناول هنتنجتون فى كتابه (من نحن) قضايا أخرى.. مثل ضرورة إعطاء الأولوية القصوى للغة الإنجليزية.. على رغم ما تتعرض له من أخطار.. وكذلك قضية الهجرة، مما أدى إلى تعدد

الثقافات داخل الولايات المتحدة ذاتها. ويحاول استغلال ذلك لتأكيد نظريته الجديدة قائلاً: إن تنامى الانقسام بين الطبقة الوطنية العاملة.. وبين النخب غير الوطنية سوف يؤدى إلى تصدعات وانقسامات خطيرة داخل الولايات المتحدة ذاتها.

والسؤال الذى يفرض نفسه هو: إلى أين تقودنا تلك النظريات والاستنتاجات التى توصل إليها هنتنجتون؟ وما مدى صحتها؟ فهو يتوقع فى كتابه الجديد نشوء وانطلاق (حركة المواطنة البيضاء) داخل الولايات المتحدة.. وهى حركة لن تكرس تفوق العرق الأبيض.. على حد زعمهم! ويشير هنتنجتون إلى أن اختلاط الأعراق - ومن ثم الثقافات - هو سبيل التحلل والتفسخ القومى الأمريكى؟!. وهنا يصل الكاتب إلى ذروة التناقض.. فالدعوة إلى تجديد حركة المواطنين البيض هى التى ستؤدى إلى صدام الحضارات داخل أمريكا ذاتها.. وهى تؤكد التوجه العنصرى لهنتنجتون.. وصناع الشر.. أمثاله! وكيف يدعو إلى بناء نوع من التناغم القومى.. بينما يشير إلى تنامى وانتشار تيار الأمركة؟!

ويتجاهل هنتنجتون عملية تواصل وتفاعل الحضارات التى جرت - وما زالت - عبر التاريخ.. وعلى رغم كل ما يحدث من صدام وصراعات وحروب. وكان لكل حضارة ولكل أمة إسهاماتها

المشهورة فى مراحل معينة.. وإخفاقاتها فى مراحل أخرى. هكذا كانت أوروبا.. والولايات المتحدة.. وهكذا كل الحضارات والأمم الأخرى. هذه حقيقة مؤكدة يشهدها.. ويشهد عليها التاريخ.. ويتعمد هنتنجتون إغفالها.. خدمة لأغراض ومخططات استراتيجية مبرمجة.. ومعدة منذ زمن طويل. والغرب نفسه حافل بنظم حكم استبدادية وأصولية على مدار التاريخ.

والغالبية الساحقة فى كل الحضارات تسعى للتعايش السلمى والإيجابى.. ولا يمكنها أن تعيش فى حروب وصدامات طوال الوقت. وإذا كان هنتنجتون قد تنبأ بأحداث ١١ سبتمبر أو بشر بها! وتوقع ما حدث فى أفغانستان والعراق.. فإنه أخفق فى استشراف آفاق المستقبل من قضايا أخرى.. فما زالت العلاقات قوية بين اليابان والولايات المتحدة.. وما زالت طوكيو تقدم الدعم السياسى والمالى للسياسات الخارجية الأمريكية.. كما أن التحالف الصينى - الإسلامى الذى رآه هنتنجتون أمراً حتمياً لم يتم بعد!

ومن الواضح أن العالم الأمريكى تأثر فى تقسيمه للمناطق الحضارية.. بنظرية (حضارة القارات) لعالم الجغرافيا الألمانى (البرت كولب). وهى النظرية التى تعرضت لنقد واستنكار شديدين منذ عام ١٩٦٢.

وفى الفصل الأول من (صدام الحضارات).. يقول هنتنجتون: «فى ٣ يناير ١٩٩٢ جرى لقاء بين باحثين روس وأمريكيين فى أحد المبانى الحكومية بالعاصمة موسكو. وقبل ذلك بأسبوعين كان الوجود السوفيتى قد انتهى. وأصبح الاتحاد الروسى دولة مستقلة. ونتيجة لذلك اختفى تمثال لينين.. وحل محله العلم الروسى. وشهدت السنوات التالية للحرب الباردة بداية تغييرات دراماتيكية فى هويات الشعوب ورموز تلك الكيانات. وبدأت عملية إعادة صياغة السياسات العالمية وفقا للخطوط الثقافية والحضارية. وجاء ارتفاع أعلام وهبوط أخرى مؤشرا على ذلك التحول. واحتشد الروس - وغيرهم من الشعوب - وراء تلك الرموز التى تعبر عن الهويات الثقافية والحضارية الجديدة». ويبدو أن هنتنجتون يمتلك زراً للتغيير الحضارى السريع.. لا يعلمه أحد سواه!! ويواصل الكاتب الأمريكى حديثه قائلا: «فى ١٨ أبريل ١٩٩٤.. رفع ألفا بوسنى أعلام تركيا والسعودية فى سراييفو.. بدلاً من رفع أعلام الأمم المتحدة أو الناتو أو أمريكا.. فسكان سراييفو حددوا هويتهم واقترانهم بالعالم الإسلامى. وأعلنوا للعالم من هم أصدقاؤهم الحقيقيون.. وغير الحقيقيين»!!

«وفى ١٦ أكتوبر ١٩٩٤ تظاهر نحو ٧٠ ألفا فى لوس أنجلوس وسط بحر من الأعلام (المكسيكية) محتجين على مشروع القانون رقم ١٤٧ الذى يدعو لإجراء استفتاء ربما يؤدى إلى إلغاء الكثير

مـن المزايـا التـى تقـدمها أمريكـا للمهـاجرين غـير الشـرعيين وأطفالهم. وتساءل المراقبون: لماذا يتظاهر هؤلاء فى شوارعنا تحت العلم المكسيكى ويطالبون الدولة بمنحهم التعليم المجانى؟! وبعد أسبوعين تظاهر عدد أكبر بعد إقرار القانون بنسبة ٥٩٪ من ناخبى ولاية كاليفورنيا.. حاملين العلم الأمريكى»!!

يقول هنتنجتون: «إن أعلام ما بعد الحرب الباردة.. وكذلك الرموز الأخرى التى تعبر عن الهويات الحضارية بما فيها الصليب والهلال وغطاء الرأس.. تعبر عن تعدد الحضارات. والهوية الحضارية ذات مغزى ودلالة أهم بالنسبة لأغلب البشر. فهؤلاء البشر يكتشفون هويات جديدة - قديمة غالبًا - ويتظاهرون تحت أعلام جديدة - قديمة غالبا.. وهذه الأعلام سوف تؤدى إلى نشوب حروب مع أعداء جدد.. بل قدامى غالبا»! ويقتبس هنتنجتون فقرة من قصة (البحيرة الميتة).. تقول: «لا يمكن أن يكون هناك أصدقاء حقيقيون.. دون وجود أعداء حقيقيين. وما لم نكره ما لسنا عليه.. لا يمكن أن نحب ما نحن عليه! تلك الحقائق القديمة التى نعيد اكتشافها بكل الألم! وأولئك الذين يتجاهلونها.. إنما ينكرون عائلاتهم.. وتراثهم.. وثقافتهم.. وحق الميلاد.. بل ينكرون ذواتهم الداخلية. ولن يُغفر لهم ذلك.. بسهولة»!

بقى أن نعلم أن صامويل هنتنجتون.. عالم السياسة وخريج جامعة هارفارد- كان مساعدا للرئيس الأمريكى السابق بيل كلينتون لشئون السياسة الخارجية.. وهو يطالب صناع القرار بإدراك وفهم نظريته الصدامية العنصرية.. عند التدخل فى شئون الدول الأخرى!

الحقد والكراهية والعنصرية هى التى تحرك وتوجه هنتنجتون.. إضافة إلى الجهل بحقائق وعقائد وتاريخ الشعوب.. ناهيك عن سوء الفهم والنوايا.. والمخططات أيضا!

❑❑❑